أكواب الشاي

صورة من الأدب الحضرمي

تأليف
الشيخ عمر بن محمد باكثير

طبع على نفقة واشراف
الشيخ عبد القادر أحمد باكثير

الطباعة بعناية أحمد عمر العطاس مكتبة الشافعي المكلا
ت: 371745

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أدوات طبخ الشاي

إن مجالس احتساء شرب الشاي في حضرموت تعتبر من الفنون التي يولع بها الحضارمة ؛ فأدوات طبخ الشاي تتكون من **البخاري** أو **(السماور**) الذي يطبخ الشاي عليها في براد على نار هادئة تنبعث من وسط هذا الجهاز المذكور والمستخدم له الفحم الخشبي ، ولعل هذين الاسمين مشتقة من اسم بخارى أو سمرقند ، وتسمى في حضرموت **بعدة الشاي** التي لا يخلو منها بيت ، ويتفنن في طبخه رجالا ونساء متخصصون في طبخه بالخبرة ، وكل عريس أو عروسة يعتبران تجهيز هذه الأدوات من الضروريات .

وتتكون هذه العدة من مجموعة من الفناجين (الأكواب) الزجاجية الصغيرة والعلب الزجاجية المتنوعة للسكر ولغسل الفناجين والتجفيف .

والشخص الذي يقوم بطبخ الشاي يلبي حاجة المجتمعين كل حسبما يطلبه فهو على ثلاثة أنواع : القاطع أي المركز ، والوسط والخفيف .

وفي المجلس الواحد يحصل الفرد على ثلاثة أكواب على الأقل ؛ لأن مجلس شرب الشاي يستمر لمدة لا تقل عن ثلاث أو أربع ساعات في بعض الأحيان .

مؤلف هذا الكتاب من المولعين بشرب الشاي وطباخته ؛ فهو يصطبح به باكرا ويغتبق به مساء ، ويقول مبالغا : إذا وجد الشاي في البيت فهو يكفيني عن المواد الغذائية الأخرى . ويقول فيه أيضا : أن الشاي ينشط الجسم ويقيه من الأمراض والحميات ويقوي الذاكرة ويهضم الطعام .

من خصائص الشاي التي قد لا يعرفها الكثيرون هي : بالرغم من كون الشاي من المواد المنبهة والمنشطة إلا أنه لا يؤثر مباشرة على القلب وإنما تأثيره على الجهاز العصبي ؛ وتأثيره غير فوري بل

بالتدريج بعكس القهوة فإن الكافيين الموجود فيها يؤثر مباشرة على غشاء المعدة والقلب .

عبد القادر أحمد باكثير

تقديم

بما أن الشاهي أصبح لا تحسن المجالس ولا تروق إلا به ، ولا يظهر رونقها إلا بطبخه في النوادي والمجالس ، لاسيما مجالس الأدباء والشعراء والعلماء .

وبما أن شعراؤنا قد نوهوا به في أشعارهم ، ووصفوه بالأوصاف الحميدة ، وجعلوا له شروطا وآدابا ، واختلفوا فيما ينبغي في مجالسه من المحشات ودواعي اللهو والطرب وغير ذلك .

فقد إرتأيت أن أجمع في ذلك مؤلفا يفي بما جرى لشعرائنا في ذلك ؛ خدمة لأدبائنا أن يزاح عنهم شبح الخمول ، وأن يظهر في العلم أنَّ لدينا من تراث الأدب والشعر ما يفتخر به كل من يمت بصلة الوطن اليمني الحضرمي في عالم الوجود .

وأن لدينا عناية خاصة بالقريض تليدة منذ عهد الملك الضليل حامل لواء الشعر إمرء القيس الكندي حيث يقول مرتجزاً :

وإننا لأهلنا محـبون   دمون إنا معشر يمانون

إلى عهدنا هذا وعهد المنتسب إليه شاعرنا الكبير علي بن أحمد باكثير إذ يقول :

إذا لم أقــلها فـذة عبقرية   فلست لميراث إمرء القيس حاويا

فإننا بهذا قد جمعنا ما يُسر لنا من حفظ بعض أشعارهم كما يراها القارئ في هذا الخصوص .

وبما أن هذا الموضوع لم يسبقني أحد إلى مثله ، مع أن بعض المؤرخين والكتاب كتبوا عن القهوة ولم تخطر على بال أحد من المتأخرين الكتابة عن الشاي ، مع أن ولوعهم به أكثر منه إلى القهوة ، فقد قمت بهذه البادرة الأدبية ، والقومة التاريخية ، لينتفع بها أدبائنا ، وليعلموا أن لدينا تراثا أدبيا لا يستهان به ، وأن لدينا خبرة بالأدب والنقد لا تقل عن خبرة الأدباء والنقاد في العالم الأدبي.

ومن تمعن النظر في كتاب الله العزيز وفي كثير من آياته الباهرة في وصف أكواب

الخمر في الجنة كمثل قوله تعالى (**يطوف علهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينـزفون)** كخمر الدنيا التي يعتري شاربها الصداع وتنـزف العقل ، أي تسكر الخمر شاربها وتزيل عقله .

فقد يشتاق إليها المتقون من العباد ولكن يكبح تشوقهم وشهوتهم إليها الخوف من عقاب الله على شرابها في الدنيا ، فتبقى حسرتهم على ذلك ، فسخر الله لهم هذه الشجرة ، شجرة الشاي ، وعوضهم عنها كي يشتغلوا بها عن أكواب الخمر المحرمة ، وذلك فضل من الله لهم ، ومحبة ورحمة وشفقة عليهم من أمراض خمر الدنيا ، والله أعلم بمراده بذلك . وأنا أقول : أن هذا فهم أوقعه الله في قلبي وأملاه على قلمي ، وكان ما كان ولله الحمد على ذلك .

المؤلف

فاتحة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

نفتتح هذه الرسالة ، وبحمده وصلاته وسلامه على رسوله العربي ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وخصه بأنواع الحكم وأفضل العلوم ، المشتملة على جوامع الكلم والحكم التي أعجزت فطاحل العرب العرباء ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ، والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين ، صلاة وسلاما دائمين إلى اليوم الموعود ، وفناء الوجود ، جعلنا الله وإياهم من المتقين الأبرار ، الذين يشربون من كاس كان مزاجها كافورا ، في جنة عدن عند مليك مقتدر .

المؤلف

في أي محل من العالم وجود الشاي أولاً

كان أول وجوده في الصين كما تصرح به هذه القصة التي وجدتها في بعض الكتب وهي :

تقول الأساطير الصينية القديمة أن ناسكا حضر من الهند إلى الصين يدعو الناس إلى المحبة والخير ، وما أن وطئت قدماه أرض الصين حتى عزم على أن يصوم سبعة أعوام يعبد فيها ربه ويسبح بحمده ، وظل على هذا الحال مستيقظا ثلاثة أعوام ثم غلبه النوم ، فلما استيقظ غضب على نفسه غضبا شديدا وجدد العزم على تنفيذ رغبته مهما كلفه ذلك ، فشرع مرة ثانية في العبادة والتسبيح، وبعد خمس سنوات أخر بدأ رأسه يميل إلى النعاس حتى وقعت يده على شجرة قريبة ، فأخذ يشغل نفسه بمضغ أوراقها فوجد أنها تكسبه القوة والنشاط على مغالبة النوم ، واستطاع أن

يتم المدة التي فرضها على نفسه في يقظة وعبادة ، وكانت هذه الشجرة تسمى باللغة الصينية (**شا**) فأطلق اسمها على الشاي . وقد يختلف الناس في صحة هذه الأسطورة وصدقها ، ولا شك أن الشاي عُرف لأول مرة في الصين ، ثم انتقل منها إلى اليابان والهند وأوربا ، وأخيرا انتشر في بلاد العالم الأخرى .

وقد كان الشاي شيئا نادرا جدا لا يشربه إلا العظماء والأغنياء ، وكان ثمن الرطل في أوربا قديما نحو عشرة من الجنيهات ، ولما بدا يعم المنازل كان الناس أول الأمر يغلونه على النار ثم يصبون الماء على الأرض ويأكلون الأوراق مع الخبز ، ولكنهم سرعان ما عرفوا الحقيقة وأصلحوا هذا الخطاء .

والشاي أوراق توخذ من شجيرات لا يكاد ارتفاعها يزيد على متر ونصف تظل خضراء طول العام ، وتوزع تلك الشجيرات ولا يقطف منها شيء في العام الأول ، فإذا دخلت في السنة الثانية تقطف أوراقها وتجفف ثم تبرم وتخمر بطرق خاصة ، وبذلك يكسب الشاي شكله الذي نراه الآن .

وللشاي أثره في الإنسان فهو ينبه العقل ويبعث على النشاط ويزيل التعب عقليا كان أو جسميا ، ولكن الإكثار من شربه مع ذلك يضر المعدة ويسبب الأمراض .

وقد أخذت الأمم الراقية منه وجبة خفيفة يجتمع عليها أهل الأعمال يتحدثون في شئون أعمالهم ، والأصدقاء يتسامرون ويتجاذبون أطراف الحديث ببطون خفيفة بالطعام ، وقلوب مليئة بالحب .

(قوله : يسبب الأمراض ، هذا يحتمل أن يكون لبعض الناس ، وإلا فهو يذهبها ولاسيما الحمى ، فإن المداوم على شرب الشاي لاسيما بكرة على الريق فإنه يذهبها بتاتا كما هو مجرب)

وجود الشاي واستعماله بداخل حضرموت

والذي يظهر أن أول ما ظهر في داخل حضرموت واستعمل شرابه بمدينة تريم كما تقول هذه الرواية ، فقد حدثني الوالد رحمه الله الذي كان لزيما للسيد العلامة الصوفي عبيد الله بن محسن السقاف قال :

كان في بعض مجالسه مع السيد عبيد الله إذ دخل عليهما الشيخ عبد الله بن نهيم

الذي كان ممن يقضي حاجة السيد عبيد
الله، فأرسله ذات يوم إلى تريم إلى عند
السيد شيخ الكاف مؤسس الثروة الكافية إذ
ذاك الزمن ، وكتب بمعيته رسالة إلى السيد
شيخ ، فأتى ابن نهيم برسالة جوابا على تلك
الرسالة ، فسأله السيد عبيدالله ماذا وجدت
السيد شيخ يعمل ؟ قال له : وجدته مع
أولاده وأصحابه يشربون عسلا في فناجين
فضة ، فضحك السيد عبيد الله من كلامه
هذا متعجبا من قوله ، ومع الصدفة دخل
علينا بعض الناس ممن سمع بأن السيد شيخ
يطبخ في بعض مجالسه الشاي ويديره
الساقي على الحاضرين في فناجين زجاج
مثل لون الفضة ، وقال لنا : أن هذا الذي
شبهه ابن نهيم هو الشاي ؛ ولونه أحمر مثل
لون العسل ، وفناجين من فضة شَبـَه
فناجين الزجاج بالفضة لبياضهن وصفاهن ،
وكان هذا الشاي يصنعونه أهل الحجاز
ويشربونه . ونحن من هنا عرفنا أنه أول من
استعمل بمدينة تريم وذلك في حدود سنة
1319 هـ .

وجود الشاي واستعماله بمدينة سيوون

وقد اشتهر أول وجود الشاي واستعماله بمدينة سيوون ، فقد حدثني من أثق به وأيده كثير ممن عاصرتهم أن أول من طبخ بسيوون ، أو طبخ له في مجلسه الشاي هو السيد الشهير علي بن محمد الحبشي . ولما كان كذلك شاع في البلد ، وكان أولا لا يطبخ إلا في المناسبات كالأعياد واجتماع بعض الأكابر أو في الروحات والولائم ، ثم شاع في جميع البيوت حتى الحلجان (المزارع) والأرياف وغيرها . قال في ذلك الشاعر الكبير ، علي بن احمد باكثير في روايته همام :

ولقـــد زاد بلاء أنه في قطـــرنا عم

فهو في القصر ـت وفي الكوخ

وفي البيـ   المرمرم
وحتى شاع في الجهات الحضرمية ، وقد أصبح الناس يتفاخرون بطبخه وأنواعه وأدواته اللطيفة ، ويتغالون في شرائها كما هو مشاهد الآن ، وكان السيد علي من شدة ولوعه به قال متغزلا في علبة الشاي :

إليك اشتياقي طال يا علبة الشـاهي
وما أنا بالناسي العهود ولا الساهي

وحتى أنه أخمل (أهمل) ذكر القهوة التي كانت نديمة مجالسهم ومجتمعاتهم حتى صارت لا تطبخ إلا نادرا في بعض البيوت والمدارس والاجتماعات العامة ، وحتى صار الشاي من لوازم المجالس ، ولا يحسن مجلس ولا يروق إلا به .

وبما أن الشعراء بالخصوص شعراء سيوون أكثروا الشعر في الشاي وأوصافه وأنواعه، ووصف مجالسه وما يحسن فيها من دواعي اللهو والطرب والغنا وغير ذلك ، فقد جمعت هذه الأشعار الآتية ، وقمت بما يلزم حول هذه الآثار التاريخية والتي هي صورة من تراث أدبنا الحضرمي ، وأنموذج من أشعارهم الخالدة ، ومبرة وصلة لهم ، إذ أنهم خلاصة أفذاذ شعراء وطننا العزيز .

وقد جعلت شعر كل واحد منهم على حدة في الموضوع ، وفي هذا الفصل الأول أذكر الأشعار برمتها غاضا نظري عما فيها من سرقة في المعاني والاختلاف ، وما يحصل فيها من ملاحظات ، وبيان ما هو غير ظاهر من المعاني وغير ذلك ، مرجيا كل ذلك إلى الفصل الثاني الخاص بها كما يأتي .

الفصل الأول
أشعار الحبشي

وبما أن السيد الشهير الشاعر العظيم ، علي بن محمد الحبشي أول من عُني بالشاي ونوَّهَ به في شعره ، فقد حاز مرتبة الصدارة ، ولهذا فقد ابتدأنا بشعره هنا . قال رضي الله عنه :

طاب طعم الشراب من ذا الشاهي فتناهى في الحسن أي تناهي
هو نعم الشراب ذوقا ولونـا ماله من مماثل أو مضـــاهي
وافق الطبع ذوقه فانبســطنا لجمال من حسن ذلك بـاهي
لا تسل عند ذوقه ما وجـدنا من حلاوى تذاق في الأفـواه
إنما الشرط فيه لطـف الأواني مع حسن الحلا وعذب المـياه
رقَّ في الكاس فالتشاكل بـادٍ في الأواني والشاهي في الاشتباه
وله مجلس لطيف ظــريف يذكر الشخص فيه ما كان ساهِ
عند أهل الحضور فيه حضور ولأهل الملاهي فيه مــلاهي

ولقوم فيه اختــيار مصيب عند بعض وبعضهم قال واهي

امتلاء الكؤوس قـالوا معيب ورأوا أنه على النصـف زاهي

وصلاة من الإلــه على من هو في العالمين أوسع جــاهِ

وقال :

لله مشروب

لله مشروب حلا شــــربه قد أكسب الشارب منه الطرب

يحسبه شاربه من لطــــفه كأن راح عــــلاه الحبب

فإن تقل صرح لنا باســمه فقد قضينا في اسـمه بالعجب

فإنه الشــــاهي ولا يحتسي كؤوسه إلا رجــال الأدب

وقال

إليك اشتياقي طال يا علبة الشاهي وما أنا بالناسي العهود ولا الساهي

*****

أشعار ابن عبيد الله

وللسيد الشاعر الكبير: عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف

في مراح الصبا

هذه القصيدة قالها في وصف يوم أنس وكان في نزهة مع أحبابه :

في مراح الصبا ومرعى الأماني وابتسام الهوى وطيب الـزمان

هاتـها تطرد الهمـوم وتستد عي المسرات وردة كالدهـان

في رياض من النخيل تـلاقى الماء فيه من السماء والسـواني

(قوله : والسواني ، حسبما يظهر أنها لفظة عامية وافقت القافية ، لأني لم أجدها في القاموس وشرحه)

باسمات ثغورها تتـــبارى في حفيف معبر عن تــهاني

تملأ العين قرة باجتلاهـــا في جناها كحاليات الغــواني

يشبه الآصف المناصف منهـا منظر الشاي في انتصاف الدنان

ونـهود الدمى المذنب منهـا
في تدلي قنوانـها من جنـان

كلما حرك النسيم غصـونا
زاد طيبا أريج هذي المغــاني

وإذا مرَّ بالمياه كســـاها
من نسيج المحاسن الخسـرواني

وسهام ينقشن في الصدر حصدا
كعيون الدمى بأعلا القــنان

طبن مرأى ومسمعا وخـيالا
ومذاقـــا بذكرياتٍ حسان

ملعب اللهو مسقط الراس مجنى
ثمرات النُهى الشهي المجــاني

مهبط النور منـزل الحور مأ
وى الغيد من هائم سباط البنان

***

فاسقنيها بغير إثم شــمولا
تطلق العقل في رقـيق الأواني

بين سحر من الحديث حلال
وأغاريد بلبلٌ وأغـــــاني

صرفة أولا ولاباس بالــمز
ج ولاسيما لتعجـــيل ثاني

هاتها من شقائق ثم إن مــا
لت براسي فمن خدود القيان

إنما العيش روضة
وكلام على بساط

ومــدام الأمــاني
وشواء بجنبه رُطبٌ غــضٌ لذيذ مــــنوع الألوان
وإذا زاد بعد ذلك شـــيئا فدلال الدمى وشجو المــثاني
بصعود من السـعود اختلسنا لذة اليوم في نعيم الجـــنان

*****

ويوم كأيام الجنان

ولابن عبيد الله هذه القصيدة قالها في وصف يوم أنس :

ويوم كأيام الجنان من الأنس قضيت بها في الطيب ما تشتهي نفسي
تجمعت الأهواء فيه وعمت التها ني ولم يعلق بشيء من النحس
صفا لي فلم أهتم بالأمر في غد وكفر عما كان من هفوة الأمس
على قهوة تشفي الهموم وتجلب السرور ولا تجني على العقل والحس
إذا حليت حل الهنا وانتفى العنا وتم المنى والرشد باق على النفس
متى أصفقت في الكاس كان نشيشها ألذ من الأوتار في ليلة العـرس
لها صفة من عندم قبل كما هي بعد المزج صفراء

مزجها كالورس
تشق عجاج الموجعات بأدهم وورد يطاردن الهموم فلا يمسي
ومن لبن حينا يكون مزاجهـا له رغوة مثل النديف من البرس

النديف : العُطب المندوف ، أي الأبيض الناصع ، والبرس : العُطب ، قال الشاعر :

ترى اللغام على هاماتها قزعـا
كالبرس طيره ضرب الكراريس

ترشفتها في يوم دجن كأنـني ترشفت بالكاس الرضاب من اللعس
على اليمن والإقبال في ظل روضة وعيني من اللذات ترنو إلى خمس
كتاب وبستان وكاس وقيـنة وسيدة من دونها طلعة الشمس
بها سلوتي في خلوتي كلما طغت على خاطري في خلوتي وحشة الأنس
وفيها عزائي في الخطوب وراحتي إذا ضاق صدري من لئام بني جنسي
فقد برمت نفسي بما يضمرون لي ولكن تلكم من عداوتهم تنسي

(برمت نفسي ، أي سئمت وضجرت .)

فكم دبروا لي ظالمين مكيـدة فجاءت ولله المحامـد بالعكس
يريدون لي عيبا فألفوا تردهمُ عني بألســنةٍ

نزاهـة خُرس
وإن زوروا عني يئول افتراؤهم بما كان مني من تحدٍ إلى نكس

****

إلى رياض قد التفت خمائلها

ويقول ابن عبيد الله أيضا في مثل ذلك اليوم :

ما كان يلتف في ذيل الدجى القبس إلا وصحبي إلى حي الدمى اختلسوا
إلى رياض قد التفت خمائلهـا يكاد منها خرير المـاء يحتبس
يسافر الطرف في اقطارهن وإن تأشبت فهناك الضـوء والغلس
شجراء رقت حواشيها وزينها زهر الربيع وعذب الماء ينبجس
فللجداول في حافاتها زجـلٌ وللفواخت في أفنائها جـرس
يبكي الحمام ويرفقن الغمام ويستحـ ـلى المدام ولا واش ولا حرس
على الأغاني وشيء من خصائصه جلب السرور وتنبيه الهوى جلسوا
كما يذاب النضار العرف رونقه ولا صداع ولا إثم ولا هــوس
يذكي الجوى للهيب في الزجاج له أشعة في وجوه القـوم تنعكس

ظلوا عليه نشاوى والكواعب يسـ ـحبن الذيول ولم يعلق بها دنس

تجلي الكؤوس وتهتـز النفوس وإن نال السرور وقارٌ بينهم همسوا

مالوا إلى كل لهو منه فائـدة تثني العدا وبهم من حله خرس

في غفلة من زمان المحنة اختلسوا سحابة اليوم واللـذات تختلس

في مربع النور مثوى الحور يشملهم مع الجمال الذي يسبي النهى القدس

القدس ، أي الطهر ، وهو فاعل لقوله : يشملهم كما لا يخفى .

******

شعر الحامدي

وللشاعر الكبير السيد صالح بن علي الحامد في الشاي ووصفه :

روق لها ماء الغمام

روق لها ماء الغمام لي والحباب يدور في

وهاتـها جنباتـها
صهباء ماعبثت بها يد عابث ماعاشرت إلا أكف سقاتـها
من جيد الشاهي استحال عصيرها فأتت تحاكي الشهد في جاماتها
قد راق منظرها ورق زجاجها فلعلة لم يدهقوا كاساتـــها
لولا انتصاف الكاس خيل أنها في كف ساقيها تقوم بذاتـها
وإذا الهموم على النديم تكاثفت وبدت أشعتها جلت ظلماتـها
فيها غنيت عن الذي سلب النهى من شانها والإثم من تبعاتــها

****

ياساعة مرت كلمحة بـارق ذاقت بها نفسي نعيم حياتـها
عاطيت فيها الكاس خودا كاعبا ماء الشباب يجول في وجناتـها
فتمايل الأغصان من أعطافها وشمائل الصهباء من لحظاتـها
جاءت إلي وخدها مــتورد جزعا لخوف رقيبها ووشاتـها
قلت استقري وأهدئي حتى إذا سكنت بلغنا في المنى غاياتـها

طورا تنازعني الحديث وتنثـني
طورا عليَّ بعتبها وشكاتــها

فأجبت معتذرا لها وأودُّ لـو
أني بذلت النفس عن حرماتها

الله يعلم ماهممت بريــبة
فلتذهب الغوغاء في تـهماتها

لايحفل العف الكريم بقول من
نسبوا إليه فرية لم يأتـــها

******

أشعار علي احمد باكثير

وللشاعر الكبير ، والكاتب القدير ، علي احمد باكثير هذه الأبيات من قصيدة طويلة نشرتها صحيفة التهذيب التي عنوانها :

وداع رمضا ن

فقال بعد أن ذكر شهر الصيام ، وأن الصوم كان لحكمة لاللتعبد ، وبعد أن ذكر جمود العلماء وسماحة الدين الإسلامي ، وبعد أن دعى إلى نهوض الحضرمي والتأسف على تأخره عن الشعوب المتقدمة ، إلى آخر ماقال رحمه الله :

ياصاحب القلب الشقي بقومه ... أشفق بهذا القلب لايتحــطم

أخدم بلادك ماستطعت وكِل إلى ... مولاك ماألم تستطعه وســلمِ

ومن الجفا أن لاتحيي مثلـما ... حياك وجه العيد مبتسم الفـم

واحذف شياطين الهموم بأكوسٍ ... تنقضن من **(بـرَّاد)** شايٍ معلم

مخضرة جنباته فاعجب لــه ... من جنة خضراء فوق جهـنم

شاي يفوز من احتساه بلثمـة ... من كل خد في الحسان ومبسم

من (**باسلامة**) مثل ذوب التبر أو ... من (**مشعبي**) مثل لون العندم

مثل الطلا في لونها وصـفائها ... ونقيضها في رجسها والمـأثم

لا نقص عنها فيه إلا أنــه ... حلو المذاق وأنه لم يحـــرم

فاشربه متخذا نديمك كل ذي ... أدب متى نادمته لم تـــندم

واستحضر **التهذيب** واصطحبا على ... عدد جديد بالطرائف مفـعم

قبس تألق من سنا حريــة ... سيكون فاتحة النهوض الحضرمي

******

ويقول في روايته همام :

شراب الشاي خير لي

شراب الشاي خير لي من الدنيا ومافيها
إذا ما أقبـلت كاس كخود في تهاديها
تولى الهـم من نفسي ودانت لي أمانيها

*****

عرفتم من هو القائل هذا الشعر في الشاي
يرى في الشاي دنياه فما صحة هذا الرأي

*****

لاتعجبن همام تلك حقيقة كالشمس فيها الشاربون سواء
ماقيمة الدنيا وقيمة أهلها مالم يكن شاي ولاندمــــاء

وقال :

إن في الشاي عزاء

إن في الشاي عـزاء
لصريع الهم والغم

لكئيب أوحزين أوعميد
أومتـــيم
حاز لطف الخمر إلا إنه
غير محــرم
من صفاء اللون في الصين
وحسن الذوق في الفم
هو مسلات حزين فيه
من بلواه معصم
ورسول للتآخي يجمع
الناس وينـظم
غير أن القصد في
الأشياء منجاة ومغنم
فغلونا فيه حتى صار
فيـــنا يتحكم
وغدا وهو على القوت
الضروري مقدم
وشربناه بـلاوزن
وتقــدير منظم
فلكم يسلبنا المال
وكم يسـقمنا كم
ولكم أنحى على بيت
كريم فتــهدم
ولكم عائلة جرعها
صـــابا وعلقم

ولقد زاد بلاء أنه في
قطـــرنا عم
فهو في القصر وفي البيت
وفي الكوخ المرمرم
*****

ويقول السيد الشاعر الأديب محمد بن شيخ المساوى :

فاصطبح واغتبق كؤوسا

نسخت آية
ت من الشاي هن
المدامة آيـــا
أم الكتاب
فاصطبح كؤوسا
تسامت على
من الشـاي
كؤوس الشراب
تجلب الأنس
ـب ولاينــتهبن
والسرور إلى القلـ
بالألباب
****

وهذه القصيدة للشاعر الأديب السيد سقاف بن محمد بن طه السقاف في وصف الشاي وريق الحبيب :

الشاهي وريق الحبيب

كاس من الشاي
الشاي أظهر خافي
أغنانا عن الكاس
الشعر من راسي
ولعت بالشاي
حلو الحديث خفيف
بالفنان يطبخه
الروح مياس
حادثته وهو
ويمزج الريق خرج

يسقيني ويلعب بي الشهد في الكاس
ماثلته في تصابيه مع الدلال وطـبع
فأســكرني فيه حساس
كما تمنيت في صيغت من الدر
شكل وفي دمة أوصيغت من الماسِ
ناديت يافاتن قبست نار الهوى
الألباب مالكها من غير مقباس
ياملحن الصوت زد في المجون
والأحداق ساحرها فقلبي ذاهل آسي

****

قالت أتحسن وصف ـوان الزهور ووصف
الغانيات وألـ الدر والآس
أوحانة من خمار من شاي سيوون
الشاي لاهبة أومن شاي عطاس
فقلت ما الشاي إلا من عهد فرعون
خمرة نسخت أومن عهد نواس
فحمرة مثل لون صبت وتفعل فعل
الخندريس إذا الخمر بالراس
قالت تميل إلى مافي الشراب ولا
الألحان قلت نعم في اللحن من باس
فأرسلت نبرة في أذني لصوت يذيب
اللحن فانتفضت الجلمد القاسي

****

يوم فسحة

عقد رجال (**نادي القلم**) فسحة في سفح الجبل القبلي البحري المشرف على سيوون ، وفي أثناء الفسحة عملوا كعادتهم هذه الأشعار المشتملة على وصف ماجرى في الفسحة من الشاي ووصفه وغير ذلك ، وكانت هذه الفسحة واقعة في : 4 شعبان سنة 1360 هـ .

(نادي القلم يضم طائفة من أدباء سيوون المعروفين بالشعر والأدب ، ولهم مجالس تعقد على شراب الشاي ، ونظم الأشعار كما هي مجموعة لدينا في كتيب (**ثمرات نادي القلم**) .

يوم السرور

وللشاعر الأديب السيد محمد بن حسن بن علوي السقاف :

يوم السرور لقد كسبت فضيلة ... وجمعت أفذاذا من الشــعراء
كاس الشراب يدور فيما بينهم ... في فسحة قد رق كالصـهباء
والأنس قد ضرب الخيام وكلنا ... سكرى على جبل من الغـبراء
جبل به حف السرور وشاهدت ... منا العيون بدائـــع الإنشاء

لله في تدبير مصـــنوعاته لطف يروق جـماله للرائي

****

وفيها يقول الشاعر السيد سقاف بن محمد السقاف :

زينوا الفسحة بالشعر وبالشاي اللــذيذ
إنكم للشعر أهــل ولكاسات النبــيذ

***

إنكم في هذه البــلد ة خير الناس شـعرا
فيكمُ من مرسل الأشـ ـعار ياقـوتا ودرا

***

إنما الناس إليـــكم شاخصون معجبونا
يعــرفو ن أنكم في النظم طرا مفلقونا

****

فاملئوا القطر شعورا والنوادي والمحافـل
لم يروا إلا بديعـاً منكموا في القول كامل

****

أنتموا أين من يدخل فيه باب القوافي

حزتموا مرتبة مــا نالها كل نبــيه

****

شرفونا ببديعات القــوافي كلكم في اللفظ والمعنى بديع وموافي

*****

وقلت مشاركا في هذه الفسحة :

يافسحة

يافسحة كم رأت عيني بها طرفا من القصيد الذي ها أنا أنشده

في سفح ذا الجبل المانوس فسحتنا يكاد يفصح عن ذا الأنس جامده

لقد تذوقت من مطعوم لـذته أكلا سألت به المولى يعـوده

فمن إذا الروح ماطابت مطاعمه ومن إذا الجسم ماراقت موائده

من أكوس الشاي قد ثابت قرائحنا حتى دنى فاخر الأشعار شارده

لله من أكوس حف السرور بها كم أترع الكاس ساقي القوم ماجده

حتى كأنا خرجنا في عالم الروح

من عوالمـنا غبنا مانشاهـده
أوفي سماء من الأملاك عالـية أونحن في الخلد تولينا محامـده
فيا ليوم قضيناه على دعــةٍ قد غاب عن دمعنا الميمون حاسده

*****

وفي رمضان من سنة 1360 هـ اجتمع (**نادي القلم**) ونظموا هذه الأبيات الآتية التي تصف الحرب العظمى والذي ترجا كل الناظمين أن يعجل الله بالصلح الشامل للعالم أجمع ، وأن تضع الحرب أوزارها ، وأنهم ملوا **المجـرَّش (** أي السكر الدقيق) وقد كانوا يعتادون السكر (**أي القبع**) وملُّوا شاهي الهند ، أي الشاي الذي يأتي من الهند ويريدون الشاي الذي كان يأتي من أندنوسيا المسمى **باسلامه وعطاسي وبن طالب** ، والدعاء على هتلر بالهلاك ، إلى آخر الأبيات ، هذه وقد شارك في نظمها كل أعضاء النادي :

متى تضع الحرب أوزارها وتنشر في الناس أخبارها
فإنا بلينا بهذي الحـروب سئمنا الحياة وأوطارهـا
مللنا المجرش وشاي الهنود

في شايــنا ... وأشجارها
إذا ذكر الهند ... مقتنا الهنود
في أرضـنا ... وآثارهــا
لحاك المهيمن ... فأنت المسبب
يا **هتــلرُ** ... إقتارهـا
جلبت الدمار إلى كل بيت ... وفي الحرب قد فقت عمارها
نفخت بيوقك في كل قطر ... وحركت في الحرب أوتارها
ستهزم في الروس يا **هتلر** ... وإن كنت في الحرب جبارها
لئن شمت يسر الحروب زما ... نا ستنظر في الروس أعسارها
سراياك كم أعدمت أنفسا ... شغلت الطيوروأوكارهـا
فكم في **فرنسا وبولونيا** ... هدمت مطارا وطيارهـا

*****

وقلت في روايتي (**أبي اليقظان**) [هذه الرواية شعرية انتهى نظمها في سنة 1361 هـ] أوتأثير الحرب بداخل حضرموت في ذكر الشاي ، والحنين إلى

الشاي ابن طالب ؛ نوع من أنواعه الجيدة :

هو الشاي الذي في الكون أضحى

لعمرك مالذيذ الشـأي إلا … تجمع في ابن طالب الشـهير

هو الشاي الذي في الكون أضحى … على شتى المشارب كالأمـير

لحى الله الحروب وموقديهـا … وقادح زندها اللهب المثـير

لقد حجبته عـنا أي حجب … وقد يرد المنازل بالكثـير

وأصبح غالي الأثـمان حتى … غدا في الأرض منقطع النظـير

إذا ما شيب (**بالقبع**) المصفيٍ … فقل ماشيئت في بنت العصـير

ومهما ذقت كاساً بعد كاسٍ … فقد متعت بالفكر المنـير

فأبدلنا بهنـديٍ رديٍ … بديلا عنه في الزمـن العسير

وبينهما تجلى الفرق ذوقـا … لذي ذوق وذي لب وفـير

له خبر تسامى أي … بكل مشارب الدنيا

خــبر خبــير

****

لاتذكروا ابن طالب

وقلت فيها أيضا في ذكر الشاي ابن طالب :

لاتذكروا ابن طالب لنا فذكراه نكــد

إنا نسيناه كــما ينسى الجنين الملتحد

قد كان تأساء لنـا ومؤنسا ومعتــمد

إذا شربناه ذهلــنا عن أفانين البــلد

كأننا في جنة الخلـ ـد إذا الشرب معد

إذا شربنا مرة منــ ـه سكرنا للأبـد

لاتذكروا لي شـربه فوصفه لي لا يحـد

حنن إذ شربته اليـ ـوم ليوم قد نفـد

ياليت أيـاما مضت على شرابه تــرد

*****

فاطبخ الشاي وارتشف منه كاسا

وقلت في غيرهذه الرواية هذه الأبيات في الموضوع :

قيدتني الهـموم في البيت حتى
صيرتني وانٍ عديم احتـــيال

فتمثلت أجمــع الفكر حينا
ماخلاصي في حل هذي الحبال

فأشار الفكر عليَّ إن شيئـ
ـت الخلاص من هذه الأثقال

فاطبخ الشاي وارتشف منه كا سا
قانيا كاختضاب ذات الجمال

ذا رسوخ في الطبخ يعزى إلى العطـ
ـاس خير الشراب ماكان غالي

فسمعنا إشارة الفكر حتى الصـ
ـبح قمنا لأمره بامتـــثال

فطبخناه واحتسينا كـؤوسا
حاكيات لونا عقود الــلآلي

فاغتدت عقدة الهموم بجسمي
ذات حل تنحل حالا لحـال

رجع الجسم بعد سقم صحيحا
فكأن قد نشطه من عــقال

******

وقلت

داوني من داء الهموم

داوني من دائي الهمـوم براح
تشف مني بواعث الأتــراح

وأدر لي فداك روحي بكـاسٍ
يرجع الجسم بعد ذلك صاحي

هو خير الشراب ذوقا كما من
قد سقاني الشراب خير الملاح

فعراني من بعد ذاك نشــاط
لجيوش من التـــثاقل ماحي

فتمشى دبيبه في عظــامي
كتمشي الحياة في الأشــباح

وسرى سائر السرور بجسمي
بكرتي وظهــيرتي ورواحي

هو شايٌ لاسكر فيه مـباح
ماعلى المحتسي له من جنـاح

لو رآه أبو نــواس لأضحى
هاجيا بالقصيد شرب الـراح

أو به ابن المعتز يدري لأمسى
هاجراً للغبوق والإصطــباح

*****

وقلت

تصرم شهر الصوم

تصرم شهر الصوم رمضان وانقضى
فهات لنا صرفا من

ثلاثون يوما لم نذق منه قطرة
الشاي أحمرا
لقد طلت ياشهر الصيام على الورى
وقلت

لا اشرب الشاي

لا اشرب الشاي هذا اليوم أجمعه
ولا أروح نفسي بالأناشـيد
لكن أعبِّدُ من صعب المعارف ما
أمسى خفيا بإيجاز وتعقــيد
حتى يراها سليم الذوق ظاهرة
كغادة ظهرت تسمو على الغيد

*****

الفصل الثاني
مالنا من كلام على أشعار الشعراء

والذي لنا من تعليقات وملاحظات على هذه الأشعار ، ومن سرقات من بعض الشعراء في أشعارهم المتقدمة آنفا ، سواء كانت السرقة داخلية أوخارجية ، وأعني بالداخلية أي سرقة بعضهم البعض في الداخل ، أوخارجية السرقة من

أشعار الشعراء الخارجين عن الوطن سابقا .

وفي ذكر أذواقهم في شرب الشاي ووصف أوانيه وطبخه وطابخه وتفننه ، وذكر أوصافه وأسمائه وأنواعه وشرابه مع شيء آخر أومفردا ، وتنشيط شاربه وذهاب إحساسه ، وبحضور الأغاني مع شيء آخر من كتب العلم والأدب ، وغير ذلك كما نفصله كالآتي :

أولا : على شعر الحبشي :

أما الحبشي فقد تناول في شعره طعم الشاي وحسنه وأنه وافق ذوقه ، وصرح بأن الشرط فيه لطف الأواني .

وهنا نقف مع شاعرنا إذ أنه جعل لطف الأواني شرطا ، والشرط يلزم وجوده ، وهذا خالف فيه الشاعر الصوفي ابن الفارض فإنه قال :

ولطف الأواني في الحقيقة تابع للطف المعاني والمعاني به تنمو

إذ أن لطف أواني كل شيء لايكون حسنا إلا إذا كانت المعاني حسنة ، وهذا ليس في المشروبات فحسب ؛ بل هو في كل شيء حتى في غلاف الكتاب وتجليده ليس هو شرط في حسن الكتاب وفضله ،

وحتى في أثواب المرأة الحسنا لايفيدها حسنها إذا كانت شوهاء أوعجوز ، وكما قال ابو الطيب :

لبسن الوشي لامتجملات ولكن كي يصن به الجمـالا
وضفرن الغـداير لالحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا

وإنما المرأة الحسنا في الثوب الردئ لاينقص من حسنها شيئا ، نعم يزداد حسنها حسنا إذ الحسن لايعبأ بالإلباس ولوكانت حسنة ، وليس هو شرط فيها كما يقول الحبشي بل كما يقول ابن الفارض فإنه تابع لها ، وهي تزيد حسنا إذا اجتمع الشيئان ، وإذا هو يقول :

رق في الكاس في الأواني فالتشاكل بادٍ والشاهي في الإشتباه

فهو ماخوذ من قول إبن المعتز في وصف الخمر ، وقد جمله وأحسن تعبيره وأبدعه :

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولاقــدح وكأنما قدح ولاخـمر

ومأخوذ من شعر الشعراء الخمريين ؛ كالبحتري في قوله :

فاشرب على زهر الرياض يشوبه زهر الخدود وزهرة الصهـباء
من قهوة تنسي الهموم وتبعث الشـ ـوق الذي قد حل في الأحشاء
تخفي الزجاجة لونها فكأنـها في الكف قائمة بغير إنـــاء

وأبي الطيب المتنبي يقول :

لها ثمر تشير إليك منـها بأشربة وقفن على الأواني

وقبله يقول مجدد النهضة الحضرمية السيد الشاعر الكبير أبي بكر بن شهاب وقد زاد المعنى حسنا :

رق مرآها ومرأى جامها هي والجام ضمير مستتر

وقد تفرد الحبشي من دون الشعراء الواصفين الشاهي بوصف مجلسه فقال :

وله مجلس نظيف ظريف يذكر المرء فيه ماكان ناسي

ولقد صدق في ذلك ، إلا أنه أجمل هذا المجلس ولم يذكر مايستحسن في المجلس ، غير أنه قال :

فلأهل الحضور فيه حضور ولأهل الملاهي فيه ملاهي

مع أن بعضهم صرح بما يستحسن فيه ، لكنهم قد اختلفوا في تلك كما يأتي في أشعارهم ، وقد ذكر الحبشي في أبياته البائية :

وإن تقل صرح لنا باسمه فقد قضينا في اسمه بالعجب

فإنه الشاهي ولايحتسي كؤوسه إلا رجـال الأدب

إلا أننا لاندري بما يقصده الشاعر برجال الأدب هل هم الأدباء الذين نعنيهم نحن ؛ أم هم الذين يعنيهم هو ، والأقرب الأخير منهم ، لأنه صرح في شعره بأنهم الصوفية كما يظهر للمتصفح أشعاره قاطبة .

وعلى قول شاعرنا الحبشي : امتلاء الكؤوس قالوا معيب . فقد خالف ذوق الشاعر ابن عبيد الله حيث يقول :

قال رب الأنام كاسا دهـاقا فاترعوها وخلوا أهل الملاهي

فإن قال قائل كيف يكون هذا مخالفا ولم يقل الحبشي هذا إلاحاكيا

قول من قال ؟ فنقول للقائل : فإنه قال ذلك وسكت عنه ولم يشر أنه غير معيب الذي قال ذلك القول ، فسكوته دال على الموافقة .

وقوله : ورأوا أنه على النصف زاهي .

أي حسن ، فعلى هذا فليس هو مراد الحبشي ، ولكن كما يظهر أن مراده أن يكون الشاي في الكاس زائد على النصف بحيث أنه لايكون مملوءاً كما يفهم من شطر البيت ، أي على النصف زاهي ، وذلك لوكانت اللغة العربية تساعده على ذلك ، ولكن قال في شرح القاموس : وقول الناس زهاء على مائة ، أي زائد ليس بعربي ، ويقول الشعراء في امتلاء الكؤوس منهم أبونواس :

إذا العشرون من رمضان مرت ... فواصل شرب يومك بالنهار
ولاتشرب بأقداح صـغار ... فإن الوقت ضاق عن الصغار

ومنهم شاعر حضرموت في القرن الحادي عشر الشيخ عبد الصمد باكثير :

ماعلى المحبوب لو وصلا ... وتلاقى روح من قتلا
بالتلاقي ... وتعاطينا الكؤوس

بعد ماوصـلا ملاء
وانتهزنا فرصـة الزمن

ثانيا : على شعر ابن عبيد الله

أما ابن عبيد الله تناول مواضيع جمة حول شراب الشاي ووصفه ومايستحسن في مجالسه ومنتدياته وغير ذلك ، ففي قصيدته النونية التي مطلعها :

في مراح الصبا وابتسام الهوى
ومرعى الأماني وطيب الزمان

إلا أنه لم يصرح باسم لفظ الشاي ولكنه عبر عنه بلفظ القهوة ، فقد تبع في ذلك الشعراء الخمريين الذين يعبرون عنه بالقهوة الذي هو اسم الخمر لغة كما قال البحتري :

فاشرب على زهر الرياض يشوبه زهـر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسي الهموم وتبعث الشـ ـوق الذي قد حل في الأحشاء

وقال في قصيدته السينية :

على قهوة تشفي الهموم وتجلب السـ ـرور ولاتجني على العقل والحس

كما أن المتفننين في الشاي يضاهون مدمني الخمر ، فيطلقون عليه

اسم الخمر في أشعارهم ، وأرباب القهوة قد يعبرون عنها بالخمر ويشبهونها به .
أما ماذكره ابن عبيد الله في هذه القصيدة السينية وتناول فيها من المواضيع فقد قال : إنها وردة كالدهان . وأنها أي القهوة المشبه بها الشاي أنها طبخت في رياض من النخيل تلاقى الماء فيها بماء السماء ، ثم انعطف بوصف هذا النخل وثغوره المشبهات بثغور النساء التي تتبارى ، ثم وصف حفيف الرياح حين تتمايل بأن ذلك التمايل معبر عن تهاني ، ثم وصف ثمرها وألوانه حين يجنيه الجاني بأنه كالغواني الحاليات ، اللابسات الحلي ، وهذه الغواني تشبه الآصف ، أي الجارية التي بلغت أوان الخدمة ، أوالتي تم قدها ، أي قامتها التي تشبه مناصف ثمر هذه النخيل ، وهو أن يكون بَلَحَهَا أي على قول العامة عندنا (فضحها) منتصفا بين التمر والبلح ، ويشبه أيضا منظر الشاي في انتصاف الدنان ، فقال رحمه الله :

يشبه الآصــف المناصف منها	منظر الشاي في انتصاف الدنان

ولايفهم فاهم أن قوله في انتصاف الدنان يخالف قوله عند ذكر شعر

الحبشي :

امتلاء ورأوا أنه على

الكؤوس قالوا النصف زاهي

معيب

حين قال ابن عبيد الله راداً عليه حين قال : قال رب الأنام كاسا دهاقا ، إلى آخره . فإن هذا ليس من ذاك بمكان ، وإنما ابن عبيد الله هنا يصف حقيقة البلح إذا تَمَّر نصفه وبقي النصف بَلَحًا ، فهو هنا يصف واقع الإنتصاف وليس هو منه ميل إلى انتصاف الكاس التي فيها رد على الحبشي بقوله :

قال رب الأنام فاترعوها وخلوا

كاسا دهـاقا أهل الملاهي

ثم أخذ الشاعر يصف في هذه القصيدة أن القلوب تكاد تنشق مما في تدلي قنوات النخيل من هذه الجنان التي حولها من البساتين والأزهار ، فقال : كلما حرك النسيم غصون هذه الجنان زاد طيبا أريج هذه المغاني ، ثم قال : وإذا مر بالمياه كساها من نسيج المحاسن الخسروانية ، أي الثياب المنسوبة إلى (**خسرواه**) من الأكاسرة ، حتى قال : وسهام ينقشن في الصدر حصدا . إلى آخره ، أي ورُبَّ سهام

من الغواني ينقشن في الصدور حصدا ، أي قطعا ، أي يقطعن الصدر حصدا أوقطعا كما تقطع ذلك عيون الدمى ، أي الصور المشبهات بها النساء . باعلا القنان ، جمع قنة ، أي بأعلى المنازل العالية ، ومنه قنة الحبل ، أي أعلاه . إلى أن قال في هذه القصيدة بعد ذكر هذه الدمى ووصفهن بالأوصاف الحسنة :

فاسقنيها بغير إثم شـمولا ... تطلق العقل في رقيق الأواني

فإنه لما قال : فاسقنيها ربما يظن ظان في هذا الزمان إن التي طلب السقيا منها أنها الخمر فاحترس رحمه الله فقال : بغير إثم ، المشبهة بالشمول أي الخمر . وقال : تطلق العقل ، بينما الخمر بعكس ذلك ، ووصف تلك الشمول الواقعة في رقيق الأواني . ووافق الحبشي حين قال : إنما الشرط فيه لطف الأواني ، غير أن الحبشي جعل ذلك شرطا كما تكلمنا على ذلك عند قوله : إنما الشرط فيه لطف الأواني ، إلى أن قال ابن عبيد الله :

بين سحر من الحديث حلال ... وأغاريد بلبل وأغــاني

فاحترس عن السحر من الحديث بقوله : حلال ، وكان ذوق الشاعر يرى أن يكون الشاي أولا صِرفا بدون مزج ، وذلك أنه يحتمل أن يكون ذلك المزج بالماء حتى لايكون صرفا بأن يظهر منه ذلك حقيقة ، ثم قال : ولاباس بالمزج لتعجيل ثاني ، وهنا أيضا يحتمل المزج أن يكون بلبن ، والأظهر أن يكون الشاي أولا خالصا ، والثاني لاباس بمزجه ليزيل مرارة الشاي الحاد ، ثم قال :

هاتـها من شقائق ثم إن ما لت براسي فمن خدود القيان

هاتها ، أي هات الكاس من شقايق النعمان الذي هو الزهر الأحمر ، وشقايق النعمان الموصوف في قول الشاعر العربي :

من صفرة تعلو البياض وحمرة نصاعة كشقايق النعـمان

ويطلق عليه بالشقايق بدون النعمان ، يقول شاعرنا : هات هذه الكؤوس المملوءة بالشراب الأحمر المشبه بحمرة الشقايق ، ثم إن حركت راسه منتشيا فخفف خمرتها واجعلها كخدود القيان في الحمرة التي أقل من حمرة الشقايق .

ونحن هنا نذكر بيتا من قصيدة الشاعر الأديب سقاف بن محمد السقاف ، والتي قد ذكرناها عند ذكر أشعاره الآتية ، فإن هذا البيت فيه شبه بشعر ابن عبيد الله ، وهو قوله : ثم إن مالت براسي . إلى آخره ، وبيت السيد سقاف هو :

فأرسلت نبرة في الحين فانتفضت | أذني لصوت يذيب الجلمد القاسي

وعلى قوله : فانتفضت أذني ، أي تحركت . وقول ابن عبيد الله : ثم إن مالت براسي ، أي حركت ، إلا أن هذا في الشراب وذاك في لحن الصوت وذاك في الراس ، وهذا في الإذن ، وشتان بين الإثنين ، والحركة في الراس يستطيعها كل ذي راس ، وحركة الإذن لاتستطاع . ثم قال شاعرنا في هذه القصيدة :

إنما العيش روضة ومدام | وكلام على بساط الأماني

وشراب بجنبه رُطَبٌ غـ | ـض لذيذ منوع الألوان

وإذا زاد بعد ذلك شيئا | فدلال الدمى وشجو المثاني

ولاشك أن هذه الأشياء هي كما قال شاعرنا : إنما العيش ، أي اللذيذ منوط بهذه الأشياء التي ذكرها . ثم ختم القصيدة بقوله :

بصعود من السعود اختلسنا	لذة اليوم من نعيم الجنان

وفي قصيدته السينية التي مطلعها :

ويوم كأيام الجنان من الأنس	قضيت به في الطيب ماتشتهي نفسي

تجمعت الأهواء فيها وعمت التها	ني ولم يعلق بشيء من النحس

صفا لي فلم أهتم بالأمر في غد	وكفر عما كان من هفوةٍ أمس

على قهوة تشفي الهموم وتجلب السـ	ـرور ولاتجني على العقل والحس

وفي قوله : على العقل والحس ، فقد حذا حذوه في هذا المعنى الشاعر الأديب السيد صالح بن علي الحامد في قصيدته المشهورة التي سيأتي ذكرها :

فيها غنيت عن الذي سلب النهى	من شأنها والإثم من تبعاتــها

وتبعهما شاعرنا الأديب علي بن احمد باكثير في قوله :

مثل الطلا في	ونقيضها في

لونها وصـفائها رحــبها والمأثم
لانقص عنـــها فيه حلو المذاق وأنه
إلا انه لم يحـــرم

وقال في أخرى :

حاز لطف الخمر إلا أنه غير محـــرم

إلى أن قال ابن عبيد الله في هذه القصيدة :

زجاجاتها كالماء من الروم تأتينا
لطـفا ورقة وتأتي من الفرس
متى اصطفقت في الكاس كان نشيشها ألذ من الأوتار في ليلة العـرس

(النشيش ، الدفع والتحريك ، أوصوت الماء عند الصب)

أما زجاجاتها كالماء لطفا ورقة ، فهذا الوصف طرقه غالب شعرائنا فأحسنوا وأبدعوا ، إلا أن ابن عبيد الله بيَّن هذه الزجاجات أي كاسات الشاي فقال : من الروم تأتينا أوتأتي من الفرس ، أي صنع الروم والفرس ، وتفرد رحمه الله بهذا غير الشاعر السيد سقاف بن محمد الذي قال من قصبدة يصف الشاي فيها :

قاطعا راسخا وسط فنجان من
بسكر قــبع زجاجة قيصر

ثم قال رحمه الله : إذا صبت في الكاس كان نشيشها ، أي صوت الماء عند الصب أودفع الكاس وتحريكه ألذ من الأوتار ، أي أوتار العود في الليلة المسرة ليلة العرس . ثم قال :

لها صفة من عندم قبل مزجها كما هي بعد المزج صفراء كالورس

أما وصف شاعرنا بلون الشاي كالعندم وهو شجر أحمر ، أوهو دم الغزال في اللغة ، فقد وصف بهذا شاعرنا غلي احمد باكثير في قوله :

من باسلامة مثل ذوب التبر أو من مشعبي مثل ذوب العـندم

وكما قلت :

اطبخ الشاي قانيا كاختضاب وارتشف منه كاسا ذات الجمـال

وقلت :

تصرم شهر الصوم رمضان وانقضى فهات لنا صرفا من الشاي أحمرا

وأما وصف كؤوس الشاي بأنها تجلي الهموم وتبيد الكروب ، وإن فيها عزاء لصريع الهم والغم ، وأنها تحل عقدة الهموم وتثير النشاط في الأجسام فقد تناول ذلك الحامد في قصيدته

المشهورة بقوله رحمه الله :

وإذا الهموم على النديم تكاثفت وبدت أشعتها جلت ظلماتـها

وقال علي باكثير في المعنى :

إن في الشاي عزاء لصريع الهم والغم

لكئيب أوحـزين أوعميد أومتـيم

وقلت في المعنى من أبيات :

فطبخناه واحتسيت كؤوسـا حاكيات لونا عقود اللآلي

فاغتدت عقدة الهموم بجسمي ذات حل تحل حالا لحال

رجع الجسم بعد ذاك صحيحا فكأن قد نشطه من عقال

وقلت أيضا من أبيات :

داوني من داء الهـموم براح تشف مني بواعث الأتراح

أما ابن عبيد الله في هذه القصيدة السينية فقد حسن المعنى ، وأبدع الوصف وأجاد بقوله :

تشف عجاج الموجعات بأدهم وورد يطاردن الهموم فلا تمسي

وضمير تشف يعود على زجاجات الشاي المشار إليه قبل البيت ، فإنه شبه الموجعات أي الأمراض الموجعة بالعجاج ، أي الغبار ، ولما ذكر شف الموجعات والغبار مما يناسب إلا دهم الخيول ، وأحمرها أي الذي شبه الورد في إحمرار والذي تشوبه صفرة ، فالأدهم الأحمر الخالص الناصع ، والذي كالورد أي أحمر مع صفرة ، وبقي شاعرنا يتابع المعنى بقوله : يطاردن الكروب حتى لاتمسي إلى أن قال :

ترشفتها في يوم دجن كـأنما ... ترشفت بالكاس الرضاب من اللعس

اللعس سواد مستحسن في الشفة ، ونسوة لعس ، أي في شفاههن سواد ، وقوله ترشفتها في يوم دجن ، أي غيم ، ويوم الدجن هذا كثير مايذكره الشعراء في أشعارهم حول خروجهم إلى منتزهاتهم في البساتين والأشجار والحدائق ، ومنهم شاعرنا الكبير شاعر القرن الحادي عشر بحضرموت : عبد الصمد بن عبد الله باكثير الذي يقول في قصيدته المشهورة التي مطلعها :

رق المدام وراق الوقت فاسقيني ... على بساط أزاهير الرياحـين

إلى أن قال :

أيمضي الدجن لا والضحى قسما
لاشرب ولاطرب والشرح والتين

إلى أن قال ابن عبيد الله في هذه القصيدة :

كأني من الدنيا سليم من الآلام
انفصلت لعالم ملآن بالقدس
على اليمن والإقبال وعيني من اللذات
في ظل روضة ترنو إلى خمس
كتاب وبستان وسيدة من دونها
وكاس وقيـنة طلعة الشمس

وقد أخذ المعنى من قول أبي نواس :

أربعة يحيا بـــها قلب وروح وبـدن
الماء والخضرة والخمـ ـرة والوجه الحسن

إلى أن قال في هذه القصيدة وأخذ يصف حالته في بني جنسه :

بها سلوتي في خلوتي كلما طغت على خاطري في خلوتي وحشة الأنس
ومنها عزائي في الخطوب وراحتي إذا ضاق صدري من لئام بني جنسي
فقد برمت نفسي بما يهمزون لي ولكن تلكم من عداوتهم تُنسي

فكم دبروا لي ظالمين مكـيدة ... فجاءت ولله المحامـد بالعكس
يريدون لي عيبا فألفوا نزاهــة ... تردهم عني بألسنة خـــرس
وإن زوروا عني يئول إفترائهـم ... بما كان مني من تحد إلى عكس

وفي مثل ذلك يقول ابن عبيد الله في قصيدته السينية في وصف يوم سرور ونزهة مع أحبابه :

ماكاد يلتف في ذيل الدجى القبس ... إلا وصحبي إلى حي الدمى اختلسوا
إلى رياض قد التفت خـمائلها ... يكاد منها خريق الريح يحتبس

خريق الريح ، أي مهبها إلى أن قال :

يبكي الحمام ويرفضن الغمام ويستجـ ... ـلي المدام ولاواش ولاحرس

يستجلي المدام ، أي الشاي المشبه بالمدام ، أي الخمر المحرم ، إلى أن قال رحمه الله : كما يذاب النضار الصرف رونقه . أي الذهب الخالص الأحمر . وقوله : ولاصداع ، وهو الذي يعتري شارب الخمر حتى قال : ولا إثم ولاهوس ، والهوس بالتحريك الدوران بالراس أوالدوي ، وذلك كله في قوله :

كما يذاب النضار الصرف رونقه ولاصداع ولا إثم ولاهــوس

إلى أن قال :

ظلوا عليه نشاوى والكواعب يسـ ـحبن الذيول ولم يعلق بها دنس

واحترس بقوله : ولم يعلق بها دنس ، أي وسخ حيث شبه الذنب بالوسخ ، إلى أن قال :

مالوا إلى كل لـهو فيه فائدة تثني العدا وبهم من حله خرس

وقوله رحمه الله : إلى كل لهو فيه فائدة ، كلهوِ النبي صلى الله عليه وسلم لما قال للأنصارية : هل عندكم من لهو ؟ كما في الحديث الذي رواه البخاري ، لأن اللهوَ الذي فيه فائدة مستحسن وهو لهو العقلاء والمفكرين الذين يستفيدون حتى من اللهو فوائد ، وهل تدري ما هو اللهو الذي فيه فائدة ؟ وذلك مايطرب السامعين سماعه مما يغني به المغني والحادي والمطرب بالأشعار التي حوت من العلوم التي تشوقهم إلى ذكر أوصاف العلماء والعقلاء ، والتي لاتخلو من الحكمة والأوصاف الحسنة ، وحتى شعر الغزل الذي لايخلو منها ، ومن المعاني الرقيقة الطيبة والتي ليس فيها ذكر

أوصاف شخص معين ، وأما اللهو الذي ليس فيه فائدة فلا يليق لهؤلاء الذين لايمضون وقتا من الأوقات حتى اللهو بدون فائدة كما قال الشاعر :

إذا مامضى وقت ولم أستفد علما فما
ولم أكتسب علا ذاك من عمري

ويعجبني في هذا الموضوع ماروي عن الخليل بن احمد أنه تلاقى مع بعض تلاميذه فقال له : يا أبا فلان أين تريد ؟ قال له : خرجت من البيت ولم أدر أين أريد ! فقال له : لاتخرج من بيتك إلا إلى فائدة أومائدة أوعائدة ، لأن العظماء والمفكرين من العلماء لايمضي أي وقت عليهم إلا وفيه لهم فائدة ، حتى قال شاعرنا : تثني العدا ، أي الأعداء والحساد حتى ترجعهم من أجل حل هذه الفائدة خرسا ، أي لايستطيعون الكلام والإشاعة ، لأن هذا اللهو الذي فيه فائدة حلال فهو يشبه ماقال مجدد النهضة الأدبية الحضرمية السيد أبوبكر بن شهاب :

وإني لمن غير الحديث مـبرءاً
وإن وشوش الواشي براءة صفوانا

وقوله لمن غير الحديث الحلال ، وكما قال الشاعر الأديب السيد صالح بن علي الحامد في قصيدته الآتية :

أوتيت ذاك اليوم لذاتي ولـ ـكني كففت النفس عن حرماتها

****

ثالثا : على شعر الحامدي

أما شاعرنا الأديب السيد صالح بن علي الحامد فقد كان أقل الشعراء شعرا في الشاي ، فلم أجد له غير هذه القصيدة الفريدة ، وقد تناول مواضيع حول شرب الشاي ووصفه ، وعن النديم حوله إلى غير ذلك فقال :

روق لها ماء الغمام وهاتـها   لي والحباب يدور في جنباتـها

روِّق لها أي لكاس الشاي ماء الغمام أي المطر ، اما قوله : والحباب يدور في جنباتها ، أي أنه ليس فيه مزية ظاهرة للكاس فعندي سواء دار الحباب في جوانبها أولم يدر ، وأما قوله : ماء الغمام فهو يلمح إلى قول أبي الطيب المتنبي :

أثغرك أم ماء الغمامة أم خمـر   بفيَّ برود وهو في كبدي حـر

أما ذكر الحباب في الكاس فقد سبقه إلى ذلك الحبشي في أبياته التائية بقوله :

يحسبه الشارب من لطفه   كأنه راح علاه الحبب

وشاعرنا زيد المعنى بقوله :

من جيدالشاي فأتت تحاكي الشهب
استحال عصيرها في جاماتها

فإنه شبه الكاس الذي فيه
الحبب بالشهب أي النجوم وقد تفرد على
شعرائنا بهذا الوصف دونهم ، ومما حازتا
الإحسان في هذه القصيدة هذان البيتان :

قد راق منظرها فلعلة لم يدهقوا
ورق زجاجها كاساتـــها
لولا انتصاف في كف ساقيها
الكاس خيل أنها تقوم بذاتـها

فقد خلب عقول أدبائنا
الشباب هذا التعبير والوصف الحسن ،
ولكني أقول لهم مصيبون في ذلك ، لو
لم يكن شاعرنا أخذ هذا المعنى من
الشعراء قبله كقول البحتري :

يخفي الزجاجة في الكف قائمة
لونها فكأنـها بغير إنـــاء

وقول أبي الطيب المتنبي :

لها ثمر بأشربة وقفن بلا
تشير إليك منها أوني

وقال الشاعر الكبير أبي بكر بن شهاب :

رق هي والجام ضمير
مرءآها ورق جامها مستتر

إلى أن قال شاعرنا :

ياساعة مرت ذاقت بها نفسي
كلمحة بـارق نعيم حياتـها
عاطيت فيها الكاس ماء الشباب يجول
خودا كاعبا في وجناتـها

ومن قول شاعرنا : عاطيت فيها الكاس ، إلى آخره ، يظهر فيه أنه هو الذي يتولى طبخ الشاي ويعطي محبوبته الكاس ، وبهذا فقد تفرد شاعرنا على الشعراء بذلك إذ لم يشر منهم أحد غيري كما قلت :

فأشار الفكر علي إذا شيئت الـ ـخلاص من هذه الأثقــال
فاطبخ الشاي قانيا كاختضاب
وارتشف منه كاسا ذات الجمـال

وغير السيد سقاف بن محمد السقاف حيث يقول :

ولعت بالشاي حلو الحديث خفيف
والفنان يطبخه الروح مياس

ومن تأمل شعر بقية الشعراء يجد أنهم حسبما يظهر أن الشاي يطبخه غيرهم لهم ، فلم يباشروه بأنفسهم ، غير أن قول السيد صالح في مطلع القصيدة : روق لها ماء الغمام وهاتها ، يدل على أن الطباخ غيره ،

ثم استطرد شاعرنا في وصف هذه الخود الكواعب إلى أن قال :

جاءت إلي وخدها متــورد | جزعا لخوف رقيبها ووشاتـها

حتى قال :

أوتيت ذاك اليوم لذاتي ولـ | ـكني كففت النفس عن حرماتها

الله يعلم ماهممت بريــبة | فلتذهب الغوغاء في تهماتـها

وأنا أقول : أما قوله ماهممت بريبة ، فإن الهم بالريبة لايستبعد من غير المعصوم ، ومع ذلك فقد صرح النبي يوسف صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وهو المعصوم حيث قال الله عنه (**ولقد هَمَّت به وهَمَّ بها**) وإن أوَّل الهم مفسرو الآية وأكبروه بالنسبة له وقالوا : **هَمَّ** بها أن تكون زوجته ، وقيل **هَمَّ** بضربها وغير ذلك .

*****

رابعا : على شعر علي احمد باكثير
وعلى قصيدته التي عنونها وداع رمضان

إلى أن قال فيها :

واقذف شياطين الهموم بأكوس تنقضن من(**براد**) شاي معلم

مخضرة جنباته فاعجب لـــه من جنة خضراء فوق جهـنم

وقد تفرد شاعرنا رحمه الله من دون الشعراء بذكر **البراد** وهو الإناء الذي يطبخ فيه الشاي ويصب منه ، وثاني أوانيه **البخاري** أوالسماور المعروفين عندنا ، وثالثها الفناجين ، أي الكؤوس ، ثم أن شاعرنا وصف ذلك البراد بأن جنباته مخضرة ، ثم شبه تلك الخضرة بالجنة ، ثم تعجب هل تكون الجنة الخضراء فوق جهنم ، أي أن البراد لما تأجج بالنار من نار البخاري ، فكأنه جهنم في تأجج ناره ، ثم وصف ذلك الشاي بأنه يفوز من يشربه بلثمة من خدود الحسان ومباسمهن في قوله :

شايٌ يفوز من احتساه بلثمة من كل خد للحسان ومبسم

ونحن لم يظهر لنا قوله : يفوز من احتساه بلثمة ، هنا أي مع شراب الشاي إلا أنا نقول : إن المرأة الحسناء إذا جلست بالشراب وازينت لمجلسه ورءآها المولع بحبها فيقبلها في هذه الفرصة

السانحة ويفوز بلثمة في خدها ومبسمها وغيره ، ثم وصف شاعرنا هذا النوع من الشاي فقال : من باسلامه مثل ذوب التبر في اللون أومن مشعبي ، مثل لون العندم ، أي الشجر الأحمر .

ولما ذا وصف الشاعر باسلامه مثل ذوب التبر في اللون ، ووصف المشعبي بلون العندم الأحمر الناصع فنقول : وصف الأول بذلك لما كان كثير الحدة ، فلاينبغي أن يكون أحمر ناصعا وعكسه المشعبي كما يعرف ذلك من جربه وله معرفة بالنوعين ، وهذان النوعان قد اشنهرتا أيام شاعرنا بالبلاد سيوون ، وأما بعده فقد ظهرت أنواع أخر : (عطاسي وبن طالب) كما سيأتي ذكرهما فيما يلي عند ذكر بعض أشعار الشعراء الباقين ، إلى أن قال شاعرنا :

فاشربه متخذا أدب متى نادمته
نديمك كل ذي لم تـــندم

وقد ذكرت فيما تقدم أن شعراءنا اختلفوا فيما ذا يقدم عند طبخ الشاي ؛ أهو أنواع الطرب أم الندماء من الأدباء والعلماء ، أم الكتاب المفيدين أدبا وغيره من العلوم ، وهنا اختار شاعرنا نديما كل ذي أدب من الأدباء ، وكل أبدى حسبما يمليه عليه ذوقه ،

ومن الأدب رأى شاعرنا أن يستحضر المجلة التي كانت تصدر من مدينة سيوون فقال :

واستحضر **التهذيب** عدد جديد
واصطحبا على بالطرائف معــلم
قبس تألق من سيكون فاتحة
سنا حــرية النهوض الحضرمي

ويقول شاعرنا في رواية **همام** وقد أسرف في مدح الشاي رحمه الله :

شراب الشاي خير لي من الدنيا ومافيها
إذا ما أقبلت كـاس كخود في تهاديها
تولى الـهم من نفسي ودانت لي أماليها

ولقد زاد شاعرنا في سرف مدح الشاي أيضا في قوله :

ماقيــمة الدنيا عزاءٌ لصريع الهم والغـــــم
لكئيب أوحـــزين أوعمــــيد أومتـيم
من صفاء اللون في الصـ ـين وحسن الذوق في الفم
هــو فيه عن بلواه

مسلات أديب معصـــم

ورســـول يجمـــع الناس للتآخي وينظم

ولقد صدق شاعرنا حيث قال :

ورسول للتآخي يجمع الناس وينظم ، فهو كما قال إن مجلسه رسول للتآخي ، فكم جمع من أصحاب وألَّف بينهم بالتزوار والإستفادة من بعضهم البعض بالعلوم والأحاديث الشيقة ، وإنشاد القصائد الأدبية ، وهذا كله مشاهد ، ومن أجل هذه فقد أحب الأدباء والعلماء مجالس الشاي سابقا ولاحقا ، وبعد ما أطال شاعرنا في مدح الشاي ووصفه بهذه الأوصاف الحسنة ، استدرك بدون أداة استدراك ، ولكنه أبدل ذلك بغير في قوله رحمه الله :

غير أن القصد في الأ شـياء منجاة ومغنم

فغلونا فيه حتى صار فيـــنا يتحكم

وغدا وهو على القوت الضـروري مقدم

وشربناه بلاوزن وتقـــــدير منظم

فلكم سلبنا المـــال وكم

يسقمنا كم
ولكم أنحى على بيت
كــــريم فتهدم
ولكم عائلة جرعها
صــــابا وعلقم

والقصد في الأشياء كما قال شاعرنا : منجاة و مغنم من الإسراف والتبذير .

أما عندي فإن في الأشياء غير الشاي ، فإنه لدي مستثنى من الأشياء ، لأن الشيء الذي تميل إليه النفوس وترتاح الخواطر وتطيب به المجالس فلا ينسب إليه شيء من الإسراف والتبذير ، كما قال الشاعر البحتري :

كرم دعتك به القبائل مسرفا ما مسرف في المكرمات بمسرف

على أن كثيرا من الأشياء ليس الشاي فحسب يكثر من العائلات الأسرية الإسراف فيه ، لاسيما في بيوت الأثرياء فكم بالغوا فيه ، وقد كثرت المبالغة في تقديم سفر من أنواع المأكولات والمشروبات والملذات ، فذاك للقادرين عليه محمود وفيه مايكسب المودة والإخاء والمراحمة والمزاورة ماينافي الإقتصاد ، نعم فنحن مع شاعرنا إذا كان ذلك من ذوي الفقر والإملاق فيتكلف

أربابه مع عدم استطاعتهم ذلك ، فيعود عليهم بالإفلاس والديون ، فإن ذلك غير محمود لهم ، ويكون ذلك إسرافا وتبذيرا ، إلى أن قال شاعرنا من القصيدة :

ولقد زاد بلاء أنه في قـــــطرنا عم
فهو في القصر وفي البيت وفي الكوخ المرمرم

وماذا على شاعرنا أن يقول ، فهو في القصر وفي البيت وفي الكوخ المرمرم ، وماذا عليه لولاحظ بيت أبو العلاء المعري :

فلاهطلت عليَّ ولا بأرضي سحايب ليس تنتظم البلادا

وماذا عليه لو أبدل البلاء بعكسه لما قال : وزاد بلاء ، وأحب أن يتمتع الناس أجمعون بشراب الشاي ليتنعموا بالراحة والنشاط كما أحب هو وتنعم به ، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم (لايكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لأخيه المسلم مايحب لنفسه) .

وهذا الشعر قاله شاعرنا منذ سنة 1352 هـ فكيف لو رأى مابعد هذا التاريخ إلى يومنا هذا لرأى ذلك في جميع الأماكن ليس في القصر والبيت والكوخ ،

بل حتى في الأسواق والمقاهي والطرقات وغيرها ، وأن الشاي أصبح من أكبر الضروريات التي تعودها كل ذي روح من الناس ، لافرق بين غني وفقير ، ولارافع ولانازل ، ولازارع ولاعامل ولاغيرهم .

نعم بقي علينا أن نذكر هنا ونلاحظ على ما أسرف وتعمق به الناس في وقتنا الحاضر من الإسراف والتبذير في أدوات الشاي وجميع انواعه من التفنن فيها والتعدد في ألوانها ، حتى أنهم لايستعملون إلا كل أبيض ناصع منها ، حتى مايستعمل للفحم (أي السخر) الذي يغلي به الشاي ، وغير ذلك مما هو مشاهد في هذا الزمن وقبله مما يستهجنه كل عاقل مفكر ، فإن هذا كله مما يبعث على السرف والتبذير الممحوقين .

****

خامسا : على شعر المساوى فاصطبح واغتبق كؤوسا

ويقول السيد الشاعر الأديب محمد بن شيخ المساوى هذه الأبيات في وصف الشاي :

نسخت آية ت من الشاي هـن
المـــدامة آيا أم الكتاب
فاصطبح واغتبق ـأي تسامت على
كؤوسا من الشـ كؤوس الشراب
تجلب الأنس ـب ولاتســتهين
والسرور إلى القلـ بالألباب

يوخذ من قول شاعرنا : نسخت آية المدامة إلخ . أنه نظم هذه الآيات منذ زمن سابق ، أم أنه لم يعبأ بوقتنا الحاضر هذا ، لأن في وقتنا هذا أن آية الشاي لم تنسخ آية المدامة ، بل كلا الآيتين قد أصبحتا اليوم جار فيهما العمل ، فقد شاع في الوطن شرب الخمور وعمله في هذه الأرض الطاهرة التي لم تعرفه ، كما خشي من وقوع ذلك قبل أن يعرف له وجود في الوطن فضيلة العلامة الشاعر الكبير ابن عبيد الله في بعض قصائده الإجتماعية محذرا من وقوعه بقوله رحمه الله يستنجد بعض ملوك المسلمين بنصره على أعداء الدين ويحذر من الإستعمار :

وبادر بنصر بركس وينشق وحش القفر

الظلم في الزبا | من جربه اللحم
فقد يطمع الريث | بتقريبهم في الأرض
النصارى وقومنا | من جهلوا هموا
وأخشى من التبشير | ويظهر بين الناس
ينجح عندنا | ماتنسل الكرم

بركس يقلب ، أي يقلب للظلم ويسقطه على راسه بعد ما كان في الزبا ، أي رافعا ، وقوله : وينشق وحش القفر من حربه للحم ، أي يشبع التي في القفار حتى تتخم من الحرب ، أي تشبع من لحوم الموتى من الناس أولي الظلم ، وقوله : فقد يطمع الريث النصارى ، يعني إذا لم تبادر بالنصر يطمع النصارى في استعمار الأرض ، وأن قومنا بتقريبهم هموا ، أي من جهلهم هموا بالتقريب والإلتجاء إليهم ، وذلك يدل على أن قوله هذا قبل أن تستعمر الأرض .

وعلى قول شاعرنا : هُنَّ أم الكتاب ، فلعل بعض الناس ينكر أن تكون آيات الشاي أن تشبه بأم الكتاب ، أي فاتحة القرآن ، فنقول له إن شاعرنا لايعني بأم الكتاب هنا إلا أي كتاب من الكتب ، ليس أم الكتاب .

وعفوا أيها القارئ فإني لا أحلم إذا قلت أن هذا من تكهنات الشاعر أنه يعني بها أم كتابي هذا (**أكواب الشاي**) ومما يقرب هذا الحلم إلى الحقيقة إذ أنه يعني بالآيات هنا آيات الشاي فهذا لايستبعد أن يكون حقا كما قلنا .

ومما تفرد به شاعرنا على شعراء الشاي حيث أنه ذكر الغبوق والإصطباح ، أي شرب الشاي في الصباح يسمى اصطباحا ، والغبوق مايشرب عشاء ، فإن غيره لم يتعرضوا لذلك ، إلا أنني قد ذكرت ذلك في قولي من أبيات في الشاي :

لورء آه هاجيا بالقصيد
أبونـواس لأضحى شرب الراح
أوبه ابن المعتز هاجرا للغبوق
يدري لأمسى والإصطـباح

كما تأتي بقية الأبيات عند ذكر شعري في الموضوع .

أما معنى البيت الثالث وماذكر فيه شاعرنا من أنه يجلب الأنس والسرور ، ولايستهين بالألباب فقد أكثر شعراؤنا من ذلك كما يراها القارئ .

*****

سادسا : على شعر سقاف

الشاي وريق الحبيب

هذا عنوان قصيدة قالها الشاعر السيد سقاف بن محمد السقاف في وصف الشاي وريق الحبيب :

كاس من الشاي أغناني عن الكاس ... الشاي أظهر خافي الشعر من راسي

لقد تفرد شاعرنا بهذ المعنى على جميع الشعراء ، وهو أن الشاي أظهر خافي الشعر من راسه ، أي أنه بعد ماشرب الشاي فقد ساعده على إظهار أشعاره ، إلى أن قال :

ولعت بالشاي بالفنان يطبخه ... حلو الحديث خفيف الروح مياس

حادثته وهو يسقيني ويلعب بي ... ويمزج الريق مزج الشهد في الكاس

ماثلته في تصــابيه فأسكرني ... مع الدلال وطـبع فيه حساس

كما تمنيت في شكل وفي دمة ... صيغت من الدر أوصيغت من الماس

إلى أن قال :

قالت أتحسن وصف الغانيات وألـ ... ـوان الزهور ووصف الدر والآس

وقوله : ووصف الدر والآس ، أما الدر فمعروف ، وأما الآس فغير

معروف في اللغة العربية كما بحثت عنه في القاموس وشرحه . إلى أن قال :

أوحانة من خمار الشاي لامية   من شاي سيوون أومن شاي عطاس

هذان النوعان من الشاي ممن تفرد بذكرهما شاعرنا ، وقد ذكر الشاعر علي بن احمد باكثير نوعين آخرين هما : (**باسلامه ومشعبي**) وقد ذكرت في بعض أشعاري نوعين آخرين هما (**الهندي وابن طالب**) كما سيأتي ذكرهما ، إلى أن قال شاعرنا في القصيدة :

قالت تميل إلى الألحان قلت نعم   مافي الشراب ولا في اللحن من باس

فأرسلت نبرة في الحين فانتفضت   أذني لصوت يذيب الجلمد القاسي

أما قول شاعرنا : مافي الشراب من باس مطلقا حيث أن في بعض الشراب باس ، نعم الشراب الحلال ليس فيه باس ، وغيره ففيه ألف باس ، وشاعرنا هنا لم يحترس . وأما قوله : فانتفضت أذني ؛ أي تحركت فقد تكلمت على هذا البيت في مؤلفي (**شعراء سيوون**) وقلت انتفاض الأذن لايستطاع لكل إنسان ولكنه من استطاعة الشاعر أومن كراماته الخارقة ،

وددت لوقال : فذابت نفسي لصوت يذيب الجلمد القاسي ، وفي ذكرنا لشعر الشاعر الكبير ابن عبيد الله فيما تقدم عند ذكر قوله :

هاتــها من شقايق لت براسي فمن
ثم إن ما خدود القيان

قلنا معنى هذا البيت شبه بيت السقاف وهو قوله : فأرسلت نبرة ، إلخ . إلا أن بيت ابن عبيد الله في كؤوس الشاي وهذا في لحن الصوت ، وذاك في الراس وهذا في الأذن ، وشتان بين الإثنين والحركة فيهما مجاز لاحقيقة . ثم أنه بدالي حال كتابتي هذا مايحتمل أن يكون بيت السيد سقاف صحيحا وهو إذا قلنا أن قوله : فانتفضت أذني ، من إرادة البعض الذي يطابق على الكل ، فإن الأذن بعض الراس فمعنى انتفضت أذني أي انتفض راسي ، ومثل ذلك كثير في الكلام العربي ، فمن ذلك قول الله تعالى (**يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين**) وقوله تعالى (**وإذا قيل لهم اركعوا لايركعون**) قال الجلال في التفسير : لايركعون أي لايصلون ،

وعلى قوله (**يجعلون أصابعهم**) لأن الأذن لاتحتمل إدخال الأصابع في آذانهم فوجب أن يكون المعنى كما قلنا والتقدير يجعلون أصابعهم ، وعليه فيصير البيت صحيح المعنى لا إشكال فيه .

****

سابعاً : على أشعار نادي القلم

يوم السرور

وعلى أبيات السيد الأديب محمد بن حسن السقاف :

يوم السرور لقدكسبت فضيلة   وجمعت أفذاذا من الشعراء

كاس الشراب يدور فيما بينهم   في فسحة قد رق كالصهباء

وعلى قوله : قد رق كالصهباء ، أي رق الكاس الذي هو كالصهباء ، أي الخمر وهو وصف له ومابعده حشو ، أي كاس الشراب رق كالصهباء إلى أن قال من الأبيات :

والأنس قد صرف الخيام وكلنا   سكرى على جبل من الغبراء

فقد قال شاعرنا الحق حيث قال : على جبل من الغبراء ، أي لأن جبال

سيوون قاحلة غبراء لاخضرة فيها ولاشجرة .

*****

على شعر السيد سقاف بن محمد السقاف

زينوا الفسحة

زينوا الفسحة بالشعر
وبالشاي اللذيذ
إنكم للشعر أهل
ولكاسات النبــيذ

أما قوله للشعر أهل ، فنقول له نعم نعم ، وأما لكاسات النبيذ فنقول له لا لا ، إلا إن أراد بكاسات النبيذ أي الشاي المنبوذ في الكاس ، وهو مراد الشاعر ، والدال على حالة هؤلاء الشعراء واللائق بهم إلى آخر الأبيات التي أطرى بها النادي حسبما أملاها عليه ظنه في رجال (**نادي القلم**) .

*****

ثامنا : على شعر المؤلف وقد قلت هذه الأبيات مشاركا في وصف هذه الفسحة

يافسحة

يافسحة كم رأت عيني بها طرفا من القصيد الذي ها أنا منشده
في سفح ذا الجبل المأنوس فسحتنا يكاد يصفح عن ذا الأنس جلمده

إلى آخر الأبيات التي ليس فيها شيء من الغموض أومايستحق التعليق عليه حتى نتكلم على مايلزم على ذلك ، ولافيها معاني أوشيء يجب التنبيه عليه يوافق ماتقدم أويخالفه .

*****

تاسعا : متى تضع الحرب أوزارها

على هذه القصيدة التي من نظم جميع أعضاء نادي القلم :

متى تضع الحرب أوزارها وتنشر في الناس أخبارها
فإنا بلينا بهذي الحـروب سئمنا الحياة وأوطـارها
مللنا المجرش في شايــنا وشاي الهنود وأشجارها

وهنا ذكر الشعراء السكر (**المجرش**) الموجود الآن وعليه العمد والإستعمال الذي ملَّهُ الشعراء ذلك الزمن ، وذكروا أيضا الشاي الهندي الذي لم يذكره غيرهم ، فقد ذكروا أنواعا أخرى تقدم ذكرها .

وقلت في روايتي (**أبي اليقظان**) " أبي اليقظان أوتأثير الحرب بداخل حضرموت رواية شعرية للمؤلف " رواية شعرية في ذكر الشاي والحنين إلى الشاي ابن طالب نوع من أنواعه الجيدة :

الشاي ابن طالب

لعمرك مالذيذ الشـــأي إلا ... تجمـع في ابن طالب الشهير

هو الشاي الذي في الكون أضحى ... على شـتى المشارب كالأمير

لحى الله الحـروب وموقديها ... وقادح زندها اللهب المثـير

لقد حجبته عـنا أي حجب ... وكم يرد المنازل بالكــثير

لقد خصت هذه الأبيات مدح الشاي ابن طالب بأنه هو الذي في الكون اضحى أميرا على شتى المشارب الأخرى ، وإن

الحروب حجبته عن أن يباع في الأسواق حتى يرد المنازل والمحلات للشاربين له حتى قلت :

وأصبح غالي الأثـمان حتى	غدا في الأرض منقطع النظير
إذا ما شيب بالقبع المصفى	فقل ماشيئت في بنت العصير

وقلما يتذكر المتذكر الذي حضر الزمن المتقدم والزمان الحاضر بهذين البيتين حالتنا الحاضرة ماذكر فيهما أن الشاي المسمى (ابن طالب) أصبح غالي الأثمان وأنه منقطع النظير للحروب ، فبذكر هذا يذكر المتيقظ الشاي الذي كان يتلذذ به الشعوب قبل اليوم الشاي المعدوم **أبوولد** الذي كان يتمتع بشربه الناس منذ هذه السنين الفائتة ، حتى عدم بالكلية اليوم بدون حرب ولاغيرها ، ومثل ذلك السكر الجامد والذي يطلق عليه (**القُبع**) فإنه اليوم يكاد يكون معدوما ، وقد بلغ ثمن الراس منه الواحد دينار ونصف ، فإن البيت يقول : إذا مزج الشاي ابن طالب بالقبع الصافي فقل ماشيئت في لذته وعذوبته ، فكأنه بنت العصير ، أي الخمر الذي يعصر من العنب ، إلى أن قلت هذه الأبيات :

ومهما ذقت كاسا بعد كاس | فقد متعت بالفكر المنـير
فأبدلنا بهــــندي رديٍ | بديلا عنه في الزمن العسير
وبينهما تجلى الفــرق ذوقا | لذي ذوق وذي لب وفير

فإن هذا الهندي أشبه بالشاي الذي نستعمله في هذا الوقت الحاضر وكأننا في حرب عالمية وليس هناك حرب ولكنه حرب إقتصادي منظم .

عاشراً : بقية أشعار المؤلف

وقلت في روايتي أبي اليقظان في الموضوع :

لاتذكروا ابن طالب

لاتذكروا ابن طـالب | لنا فذكراه نكــد
إنا نسيــناه كما | ينسى الجنين الملتحد
قد كان تأسـاء لنا | ومؤنسا ومعتــمد
إذا شربناه ذهلــنا | عن أحاديث البلـد
كأننا في جنة | ـد إذا

الخلـ الشرب معد
إذا شربنا فقد سكرنا
مـــرة للأبـد
إلى أن قلت :
حننت إذ اليوم ليوم
شـــربته قد نفـد
ياليت أيامـا على شـــرابه
مضت ترد
إلى آخر الأبيات في الموضوع ، وهي تكاد أن تكون شرحا للشاي ابن طالب فلا تحتاج إلى شرح وتعليق .
وقلت أيضا في غير هذه الرواية كما هو مثبوت في ديواني الثاني (الشعر المطلق) .

قيدتني الهموم

وأما القصيدة التي مطلعها :
قيدتني الهموم صيرتني وانٍ عديم
في البيت حتى احتمالِ
فإنها لم تأت على شيء يزيد على ماجرى للشعراء في الموضوع من زيادة عدى ذكر الشاي العطاسي الذي تفرد بذكره الشاعر السيد سقاف فقط ، وكل مافيها من أبيات في وصف الشاي من

أنه يزيل الهموم وينعش الجسم ، إلى آخر الأبيات المتقدم ذكرها .

داوني من داء الهموم

والقصيدة التي أولها :

دواني من داء الهموم براحٍ ... تشفِ مني بواعث الأتراح

فهي أيضاً لم تأت بجديد على ماتقدم من شعر الشعراء ، غير أني ذكرت أن هذا الشاي لورآه أبونواسٍ لأضحى هاجيا بقصيده شرب الراح في الخمر التي يعتاد شربها ، وكذلك ابن المعتز لو به يدري لأمسى هاجراً للغبوق والإصطباح ، وقد أشرنا إلى ذلك عند ذكر أبيات المساوى كما تقدم .

تصرم شهر الصوم

وقلت هذين البيتين متشوقا إلى شرب الشاي نهارا طيلة شهر رمضان :

تصرم شهر الصوم رمضان وانقضى ... فهات لنا صرفا من الشاي أحمرا

ثلاثون يوما لم نذق منه قطـرة ... لقد طلت ياشهر الصيام على الورى

وفي هذين البيتين تقمصت ذوق شاعر مصر احمد شوقي في قوله :

رمضان مشتاقة تسعى
ولى هاتها ياساقي إلى مشتاق

والله يعلم السر وأخفى ، إن الذي أعتقده في شاعر مصر أنه يعني بقوله : هاتها أي بنت الكرم شجرة الشاي ، وشتان بيني وبينه في ذلك ، هذا حلال مطلق ، وذاك حرام مطلق ، فإن صح اعتقادي فأرجو من الله أن يغفر له ذلك كما طلب المغفرة الشاعر البحتري في هناته حيث قال :

وليلة كانت هنات والله
الشك وهو ثالثنا يغفرها

فرحمة الله الواسعة على الشاعرين وهو أرحم الراحمين .

لاأشرب الشاي

هذه أبيات قلتها سابقا أيام إكبابي وشدة ولوعي بطلب العلم والمثابرة على المطالعة والبحوث العلمية ، والدروس والمراجعة خوفا من شراب الشاي والتروح بالأشعار والأناشيد أن تشغلني من ذلك على الطلبة ، ومانعقد فهمه من كتاب العلماء فتركت ماتصبو إليه نفسي من الملهيات والشواغل عن ذلك :

لا أشرب الشاي ولا أروح نفسي

هذا اليوم أجمعه بالأناشـيد
لكن أعبِّدُ من أمسي حفــيا
صعب المعارف ما بإيجاز وتعقيد
حتى يراها سليم كغادة ظهرت تسمو
الذوق ظاهـرة على الغيد

****

الفصل الثالث

انعطاف ونظرة إلى ماتقدم

وفي آخر المطاف أقول لقد ذكرنا فيما تقدم آراء الشعراء المولعين بشراب الشاي عما يحسن أن يكون نديما للشاربين الملتفين حوله ، فقد نوه بذلك أكثرهم في هذه الأشعار إلا أنهم قد اختلفوا حسب آرآئهم وأذواقهم في ذلك .

رأي الحبشي

أما رأي الحبشي فقد استحسن أن يحضر عند احتسائه رجال الأدب ؛ فقد قال في أبياته البائية :

وإن تقل فقد قضينا في
صرح لنا باسمه اسمه بالعجب
فإنه كؤوسه إلا رجـال
الشاهي ولايحتسي الأدب

رأي ابن عبيد الله

أما رأي ابن عبيد الله فقد استحسن أن يكون ساقي الشراب بين سحر من الحديث الحلال ، أي حديث الغواني ؛ وبين أغاريد بلبل ، أي مغني في صوته حين يغني مثل البلبل الطائر رخيم الصوت ، ثم إنه حصر ذلك في ستة أشياء فقال رحمه الله :

فاسقنيها بغير إثم شــمولا ... تطلق العقل في رقيق الأواني
بين سحر من الحديث حلال ... وأغاريد بلبل وأغـــاني

إلى أن قال :

إنما العيش روضة ومــدام ... وكلام على بساط الأمـاني
وشواء بجنبه رُطَبٌ غـض ... لذيذ منوع الألـــوان
وإذا زاد بعد ذلك شــيئا ... فدلال الدمى وشجو المثـاني

وفي قصيدته السينية قال والحال أنه في ظل روضة وعينه تنظر من اللذات إلى خمسة أشياء كما قال رحمه الله :

على اليمن والإيمان في ظل روضة ... وعيني من اللذات ترنو إلى خمس
كتاب وبستان ... وسيدة من دونها

وكاس وقيـنة طلعة الشمس
وفي قصيدته السينية الأخرى
يرى أن مجلس الشاي يحسن فيه اللهو الذي فيه فائدة ، وتكلمنا على ذلك فيما تقدم على شعر ابن عبيد الله حتى قال :
مالوا إلى كل لهو تثني العدا وبهم
فيه فـائدة من حله خرس

رأي الحامدي

أما الحامدي فقد رأى أن يعاطي الكاس خودا كاعبا كما قال في قصيدته :
عاطيت فيها الكاس ماء الشباب يجول
خودا كاعبا في وجناتـها

رأي علي باكثير

أما رأي علي باكثير فقد رأى أن يتخذ في مجلس الشاي كل ذي أدب حال الشراب فقال :
فاشربه متخذا أدب متى نادمته
نديما كل ذي لم تنــدم

رأي سقاف

أما رأي سقاف فقد رأى أن يكون طابخ الشاي فنانا في الطبخ ، حلو الحديث ، ويعني به الغادة الفنانة حلوة الحديث فقال :

ولعت بالشاي بالفنان يطبخه ... حلو الحديث خفيف الروح مياس
حادثته وهو يسقيني ويلعب بي ... ويمزج الريق مزج الشهد بالكاس

وقلت في ذلك

داوني من داء الهـموم براح ... تشف مني بواعث الأتـراح
إلى أن قلت :
هو خير الشراب ذوقا كما من ... قد سقاني الشراب خير الملاح

وأرى أن كلا من الشعراء جرى على مقتضى ذوقه ورأيه فيما فكر ، وذلك لايخلو من الصواب ، ولكن الذي استحسن أن يكون في مجلس الشاي شهي الحديث مع الكواعب الحسان فقد حالف الصواب لأنه موافق لقوله تعالى عز من قائل في وصف أهل الجنة (**يطاف عليهم بكاس من معين** * **بيضاء لذة للشاربين** * **لافيها غول ولاهم عنها ينـزفون** * **وعندهم قاصرات الطرف عين** * **كأنهن بيض مكنون** *) فأولئك أحق أن يكون رأيهم أصوب ، فإنه سبحانه وتعالى لما ذكر الكاس ووصفها بهذه الأوصاف وأنها لذة

للشاربين ، وذكر هذه اللذة التي ليس لها مثيل ، ذكر اللذة التي تماثلها وهي لذة قاصرات الطرف العين ، اللواتي عند الشاربين ، فقال وعند هم قاصرات الطرف العين اللواتي عند الشاربين ، فقال (**وعندهم قاصرات الطرف عين**) فهؤلاء أحق أن يتبوءوا قمة الصواب لماذكرنا ، وهو نص الآية الكريمة . والله أعلم بالصواب .

وكان إنتهائي من هذه الرسالة (**أكواب الشاي من الأدب الحضرمي**) وذلك في أول يوم من شهر محرم سنة 1397 هـ الموافق : 22/12/1976 م . حعل الله هذه السنة الجديدة سنة خير وسلام ورخاء ونصر للمسلمين . آمين .

الفهرس

****